حيثما يستريح الابرار من متاعب الحياة ويجنون ثمار اعمالهم الصالحة ويغتسلون في نهر الحياة ويكتسب فوقهم هؤلاء وجدوا نعمة في عين الاله العظيم ولذلك يسكنون منازل المجد ويتمتعون بحياة السماء والاجساد التي تركوها تستريح في مدافنها وهم يسرون في حضرة الاله العظيم . واذا حُوسب ووجد ملوماً ردَّت نفسهُ الى الارض وأُدخلت في البهائم التي اشبهتها بافعالها فالجشع يطرد من السماء ويصير خنزيرًا والشرس يصير ذئبًا وهلمَّ جرًّا . واذا تقمَّصت ثلاث دفعات وبقيت فاسدة انقطع رجاؤها وطردت الى دار الظلمة والموت الأبدي وحلَّ بها العذاب الدائم

هذه خلاصة الاساطير الجلى من اساطير الاولين سكان هذه الديار وقد كانت هي وامثالها مرشدًا لهم في تيهِ هذه الحياة ومقوِّمًا لأَوَد الفطرة وباعثًا لهم على التُّقى وطلب المجد وعلى الكد والكدح في الاعمال . واذا قيست الاديان بنتائجها المادية والمعنوية فلديانة المصريين الاولين مقام رفيع بين اديان البشر حتى زعم كثيرون من الباحثين في هذا الزمان انها مبنيَّة على وحي الهي مغروس في فطرة الانسان

مملكة العلم والعلماء

او استئثار العلماء بمناصب الحكومة في بلاد الصين

اخذت الممالك الاوربية تدني العلماء وتقلدهم المناصب السياسيَّة وشاع ذلك في المانيا حتى لا يندر ان ترى الاساتذة والدكاترة بين وزرائها . ويظن البعض ان مستقبل المناصب السياسيَّة كلها للعلماء الذين يرشحون لها في المدارس . فان صَدَقَ هذا الظن فالحكومة تربح والعلم يخسر لانهُ لا يتقدَّم ما لم يُطلَب لذاته . وان لم يتقدَّم بل تأخر او بقي على حالة واحدة تأخرت البلاد كلها ولا يغنيها انتظام الحكومة ولا يرقى بها مراقي النجاح

ومنذ مدة شرطت الحكومة المصريَّة على طالبي مناصبها ان يكونوا قد درسوا في المدارس العالية واجيز لهم . وهو شرط نافع لما لان المتعلم ادرى بادارة الاعمال من غير المتعلم اذا تساوت بينهما بقيَّة الوسائط ولكنهُ قد لا ينفع البلاد بنوع عام لانهُ يغري المتعلمين بخدمة الحكومة والتهافت على مناصبها فتخسرهم بقيَّة المعايش وهي اوسع ولا يقلُّ احتياجها الى المتعلمين عن احتياج الحكومة اليهم

وفي ممالك المشرق مملكة وقفت مناصبها السياسيَّة على اعلم علمائها فانتظمت حكومتها

احسن انتظام ولكن بقي العلم فيها على حالة واحدة منذ الفي سنة الى الان والبلاد كلها لم ترقَ درجة واحدة عما كانت عليهِ منذ الفيْ عام . وهذه البلاد هي بلاد الصين المشهورة بكثرة سكانها وقدَم عمرانها واليك بيان ذلك

مقام التعليم في بلاد الصين ارقى منهُ في سائر ممالك الارض لكنَّ ابناء السوقة كالفلاحين والعمال قلما ينالهم شيءٌ منهُ فهو محصور في بعض البيوت واكثر طلاَّب العلم منها واكثر رجال الحكومة منهم. وهم لا يتعاطون صناعة ولا تجارة بل يقتصرون على طلب العلم والاستعداد لخدمة الحكومة كأن العلم موروث فيهم . وغيرهم من الصنَّاع والتجار قد يعلِّمون ابناءهم ويرشِّحونهم لخدمة الحكومة ولكن ذلك قليل لان وسائط التعليم ليست ميسورة لهم كما هي ميسورة لابناء العلماء

وعلوم الصينيين قديمة واكثر كتبهم أُلِّف منذ اكثر من الفي سنة اي قبل ان وُضعت الكتب في اللغة اليونانيَّة واللاتينيَّة وقلما خطر على قلب عربي ان يضع قلماً على قرطاس لكنَّ هذه الكتب فسِّرَت وشُرِحتْ بعد ذلك ولتفاسيرها وشروحها مقام رفيع عندهم فعلى الطالب ان يقرأها كما يقرأُ المتون . ومعلوم ان اللغات تتغير على توالي الايام والاعوام ولذلك تغيرت لغة الصين في هذه السنين الكثيرة عما كانت عليهِ في الكتب القديمة فلا يفهمها الطالب ما لم تشرح لهُ. ثم هو اذا فهمها وجب عليهِ ان يستظهر جانباً كبيرًا منها ويحتذيها في انشائهِ ونظمهِ لانها مقياس البلاغة ومحجة العلم فهي ككتب السلف عند طالبي العلوم العربيَّة . وهم يكرِّرون عليها بالدرس والممارسة حتى تصير لغتها ملكة فيهم فلا يخرجون عنها في ما ينشئون ولكنهم لا يقلِّدونها تقليدًا اعمى وانما يتخذونها مثالاً ومرشدًا . ويقال انهم في الغالب اذكياء العقول اقوياء الحجة يناظرون بالدليل المنطقي ولهم حنكة شديدة في الإقناع ولكنهم دون الاوربيين في المعارف العامَّة المكتسبة من الكتب الحديثة . فهم كعلمائنا اذكياء العقول مدرَّبون على اساليب الجدَل ولكنهم قاصرون في العلوم الطبيعيَّة والتاريخيَّة . اذا استطردتَ الكلام معهم الى علم الفسيولوجيا او الجيولوجيا مثلاً او الى التواريخ الحديثة وعوائد الامم البعيدة قصَّروا عن مجاراتك فيها

والصين الاصليَّة مقسومة الى احدى وعشرين ولاية وكل ولاية مقسومة الى نحو اثنتي عشرة عمالة في كلٍّ منها من مليون الى مليونين من السكان . والعمالة تقسم الى ستة اقضية او سبعة وفي كل قضاء حاكم او قاضٍ يقضي بين الناس ويجمع الضرائب ويراقب الامن العام .وسكان القضاء نحو مئتي الف نفس وقد يبلغون مليونًا من النفوس

فاذا درس الطالب واراد الانتظام في خدمة الحكومة فعليهِ اولاً ان يأخذ شهادة من اوجه جيرانهِ انهُ حسن الاخلاق ولم يحكم عليهِ قط وانهُ لم يكن احد من اسلافهِ الى ثلاثة اجيال حلاقًا ولا ممثلاً ولا خادمًا ولا محترفًا حرفة دنيئة وحينئذٍ يصحُّ لهُ ان يحضر الامتحان العمومي في القضاء الذي منهُ عائلتهُ فاذا جاز هذا الامتحان أُجيز لهُ حضور الامتحان الذي يحدث في كل عالة مرتين كل ثلاث سنوات فاذا جاز هذا الامتحان الثاني أُعطي الشهادة الاولى وهي بمثابة شهادة بكالوريوس في العلوم او شهادة " الدراسة الثانوية " . لكن هذه الشهادة لا تُعطى الاَّ لعدد محدود من كل قضاء ولذلك يتناظر الطلبة تناظرًا عنيفًا فقد يكون القضاء كبيرًا آهلاً بالسكان وتكون الشهادات المسموح بها لهُ عشرين شهادة فقط ويحضر الامتحان مئات من الطلبة فلا تعطى الشهادات الاَّ لعشرين طالبًا منهم

ويعقد امتحان اكبر من هذا في قصبة كل ولاية مرَّة كل ثلاث سنوات لاجل الشهادة الثانية وهي بمثابة شهادة معلم (مجستر) في العلوم ولا يحضرهُ الاَّ الذين بيدهم الشهادة الاولى فيفدون اليهِ من كل اقطار الولاية حتى يبلغ عددهم احيانًا ثمانية آلاف طالب وهم من اعمار مختلفة بين شبَّان وكهول وشيوخ لان الطالب الذي يقصر في هذا الامتحان يجوز لهُ الحضور في الامتحان الثاني والثالث وهلمَّ جرًّا ما دام في قيد الحياة . وما على الطالب من جناح اذا لم ينَلِ الشهادة لان عدد الشهادات قليل محدود قد لا يكون ثمانين وعدد الطلبة ثمانية آلاف كما تقدَّم . والغالب ان الطالب الذي يناهز الثمانين ولا تعطى لهُ الشهادة الثانية لتقدُّم غيرهِ عليهِ لا لقلة جدارتهِ تعطى له بامر خاص من ملك الصين اذا طلبها لهُ والي الولاية وبيَّن في الطلب انهُ مستحق لها . ومعلوم ان ابن الثمانين لا يطمع في مناصب الحكومة ولا غيرها فطلبهُ للشهادة وسعيهُ لها كل هذه السنين دليلٌ قاطع على ان الصينيين يكرمون العلم والعلماء اكرامًا لا مثيل لهُ في ممالك الارض اجمع

ويجري هذا الامتحان في فصل الخريف . ثم في الربيع التالي يجري الامتحان في باكين عاصمة السلطنة لاجل الشهادة العليا وهي بمثابة شهادة دكتور في العلوم . وهذا الامتحان مباح لجميع الذين بيدهم الشهادة الثانية فيحضرونهُ مرَّة بعد أُخرى الى ان يجوزوهُ او ينقضي اجلهم ولكن كثيرين من الذين ينالون الشهادة الثانية يكتفون بها ولا يحضرونهُ اذا كانت بلدانهم بعيدة ووسائلهم قليلة . وقد وقف كثيرون من اغنياء الصين اموالاً طائلة على الطلبة الذين يريدون حضور هذا الامتحان ولا يستطيعون ان يقوموا بنفقات السفر اليهِ

والشهادات محدودة في هذا الامتحان ايضاً ولكل ولاية عدد معلوم منها . واذا جازهُ الطالب ونال شهادة الدكتوريَّة جاز لهُ الدخول في خدمة الحكومة حالاً والارتقاء في مناصبها

ويتلو هذا الامتحان امتحان نهائي في بلاط الملك فالدكاترة الذين يجوزونهُ يحسبون اعضاء في " الهان لن " اي مدرسة العلم الجامعة ويقلدون ارفع مناصب الحكومة . والذين لايجوزونهُ يقلدون المناصب الاخرى في العاصمة او يُرسَلون الى الولايات ليكونوا حكَّاماً في الاقضية ثم يترقون الى مناصب اعلى في العمالة فالولاية بحسب كفاءتهم وخلو المناصب

والذين نالوا الشهادة الثانية ولم ينالوا الشهادة الثالثة شهادة الدكتوريَّة لا حق لهم في خدمة الحكومة ولكنهم اذا طلبوا الشهادة الدكتوريَّة وامتُحنوا لها ثلاث دفعات متوالية ولم ينالوها لا لقصورهم بل لان عدد الشهادات محدود كما تقدم جاز لهم ان يحضروا امام لجنة مخصوصة تعقد مرة كل تسع سنوات لاختيار النابغين منهم لخدمة الحكومة . ثم ان مناصب الحكومة قد تعطى لاناس يخدمون فيها اولاً خدمة غير قانونيَّة او لاناس اكتتبوا بمال كثير لمساعدة الحكومة او لمساعدة الذين ينكبون من وقت الى آخر بطغيان الانهر وانتشار الاوبئة او نحو ذلك فهؤلاء اذا كان بيدهم الشهادة الثانية سهل عليهم الدخول في خدمة الحكومة بطريق الاستثناء

واذا تعذَّر على مَن بيدهِ الشهادة الثانية ان ينال الشهادة الثالثة او ينال خدمة عند الحكومة بما تقدم من الوسائط فلا يتعذر عليهِ ان يكون مدرِّساً في بعض البيوت الكبيرة او كاتباً عند احد رجال الحكومة وسواء خدم الحكومة او لم يخدمها فلهُ مزيَّة على غيرهِ بانهُ لا يقاص قصاصاً بدنيًّا اذا اذنب اي انهُ لا يضرَب كما يُضرَب غيرهُ من المذنبين . والضرب في بلاد الصين كثير وقد يحكم بهِ القاضي على اقل الذنوب فيحكم بهِ على الشاهد اذا ظن انهُ لم يؤدِّ شهادتهُ كلها فالنجاة منهُ ليست بالامر اليسير . ولكنهُ اذا اجرم جريمة كبيرة ورفع الوالي خبرهُ الى الامبراطور فللامبراطور ان ينزع الشهادة منهُ وحينئذٍ يصير كسائر الناس ويحرم من كل الحقوق الَّتي نالها بها

والذي بيدهِ الشهادة الاولى شهادة البكلوريوس يعفى من الضرب ايضاً ولكن للوالي ان ينزع الشهادة منهُ بغير امر من الامبراطور اذا رأى ما يوجب ذلك

اما اسلوب الامتحان فلا مثيل لهُ في الدقة والصرامة ومنع الغش والخداع . وهاك وصف الامتحان الذي يجري في قصبات الولايات لاجل الشهادة الثانية

يحضر الطالب الى قصبة الولاية قبل يوم الامتحان باسبوع على الاقل . ويطلب ان يباح لهُ الدخول في الامتحان ويذكر اسمهُ واسم بلادهِ وخلاصة تاريخهِ ووصف هيئتهِ على ثلاث اوراق كبيرة يقدمها الى المنوط بهم ذلك . ثم تعطى لهُ هذه الاوراق الثلاث في دار الامتحان كما سيجيء . ومن ثم يأخذ يعدُّ زادهُ لانهُ اذا دخل دار الامتحان اقام فيها ثلاثة ايام ولا طعام لهُ الاَّ ما يجدهُ في مزودهِ

ودار الامتحان محاطة بسور كبير وفيها مخادع صغيرة بعضها بجانب بعض طول كل مخدع منها اقل من مترين وعرضهُ كذلك وفيهِ لوحان لوح للجلوس ولوح للكتابة وفيهِ باب وكوَّة لا غير واللوحان ينزعان من الحائط ويبسطان على الأرض فينام الطالب عليهما ليلاً . وفي هذه الدار ساحات يجتمع الطلبة فيها وبيوت كبيرة يقيم فيها الممتحنون واذا جلس الممتحنون فيها لقراءة اجوبة الطلبة لم يجز لهم ان يخرجوا منها ولا ان يدخل احد اليهم حتى ينتهوا

ويفتَّش الطلبة حينما يدخلون دار الامتحان ويجتمع ابناء كل عالمة في ساحة خاصة بهم فينادى كل واحد منهم باسمهِ وحينما يجيب يعطى ورقةً من الاوراق الثلاث المذكورة آنفاً وتكون قد خُتمت بختم الحكومة وكتب عليها عدد المخدع الذي يجب على الطالب ان يقيم فيهِ . وفي اواخر النهار تفرَّق على الطلبة اوراق صغيرة فيها مسائل الامتحان والغالب ان يُطلَب منهم بها ان ينشئوا ثلاث مقالات نثريَّة ومقالة شعريَّة ولا بد من ان يكتب كل طالب ما يريد كتابتهُ على الورقة الكبيرة الَّتي عليها اسمهُ ويردها الى جامع الاوراق قبل مساء اليوم الثالث ويخرج من دار الامتحان . ثم يأتي بعد يومين هو وكل الطلبة ويستلم الورقة الثانية ويكتب عليها جواب المسائل الَّتي تطرح عليهِ حينئذٍ ويسلمها لجامع الاوراق ويخرج من دار الامتحان . ويأتي مرة ثالثة ويجيب عن المسائل الَّتي تطرح عليهِ في النوبة الثالثة . ويقيم في دار الامتحان ثلاثة ايام كل نوبة اي ليلتين وثلاثة اشهر . ولا يندر ان يمرض او يموت من شدة ما يلاقيهِ من العناء وقت الامتحان

امَّا اوراق الامتحان فيؤتى بها اولاً الى رئيس يضع لكلٍّ منها عدداً مخصوصاً ويلصق اوراقاً على اسماء كتَّابها حتى لا يُعلَم من هم . ثمَّ تنقل الى دار النسَّاخ فينسخونها كلها ورقةً ورقة بحبر احمر وتنقل من هذه الدار الى دار المقابلين فيقابلون بين الاوراق الاصليَّة والنسخ وتحفظ الاوراق الاصليَّة في مكان حريز وتوزَّع النسخ المنسوخة عنها على المنتقين فينتقون نحو عشرها ويقدمونهُ الى اثنين من كبار العلماء وهما

يُرسَلان لهذه الغاية من عاصمة السلطنة بأمر خصوصي من الامبراطور. والاوراق المنتقاة تكون اكثر من اوراق الف طالب وعلى هذين الرجلين ان يختارا منهم نحو سبعين او ثمانين طالباً فقط وهو العدد الذي يحق لتلك الولاية ولا بدَّ من ان تكون اجوبة هؤلاء السبعين او الثمانين هي الافضل بين كل الاجوبة

وفي كل ولاية رقيب من قِبَل الحكومة يتفحَّص الاوراق ٱلَّتِي يجوز اصحابها هذا الامتحان دفعاً لكل غشٍّ واذا اثبت الرقيب ان الممتحنين الاخيرين اهملا في شيء فقاصمها صارم جدًّا. ويحق لكل طالب ان يسترجع صورة اجوبته وينشرها اذا ظنَّ انها كانت وافية بالمراد ولكن الممتحنين تحاملوا عليهِ فلم يوفوهُ حقهُ . وكل ذلك يحمل الممتحنين على التدقيق التام ومع هذا فالخداع محتمَل ومن طرقهِ ان يتفق ابن غني وابن فقير على ان الاول يساعد الثاني بمالهِ والثاني يساعد الاول بعلمهِ فيجيب الثاني عن مسائل الاول باجرة يدفعها اليهِ ولا يخل بالاجابة عن مسائلهِ لان غرضهُ الاجرة فيجوز ابن الغني الامتحان بالاجوبة ٱلَّتِي اشتراها من ابن الفقير لكنَّ ذلك نادر جدًّا واذا تيسر للطالب مرَّةً لا يتيسر لهُ مرَّةً أُخرى. وقد يتفق الممتحن الاخير مع احد الطلبة على عبارة يصدِّر اجوبتهُ بها ولكن النجاح في ذلك اندر جدًّا لانهُ فلما يُحتَمل ان تصل اجوبة طالبٍ مثل هذا الى الممتحن الاخير. وقد حدثت حادثة واحدة من هذا القبيل سنة ١٨٥٨ وكان الممتحن الاخير من وزراء السلطنة والطالب من انسباء زوجلهِ وكان نجيباً جدًّا ولكنهُ لم يكن ممن يجوز اعطاؤهم الشهادة الثانية . وكُشف الامر فحكم على الوزير بالقتل واراد الامبراطور ان يعفو عنهُ لاجل خدَمهِ الكثيرة فلم يستطع لئلاَّ يفسد نظام الامتحان فقطع رأسهُ حيث تقطع رؤوس اكبر المجرمين . واهدى احد الاغنياء الف جنيه الى ممتحن آخر منذ عهدٍ قريب لكي يرفق ببعض الطلبة فحوكم المُهدِي لان المُهدَى اليهِ شكاهُ وحكم عليهِ بالقتل ولكن لم ينفَّذ الحكم حتى الآن رجاء ان يشملهُ العفو هذا العام يوم عيد ام الامبراطور

ولا تخلو مناصب الحكومة من اناس رقوا اليها من غير طريق العلم كما تقدَّم فاذا اصاب البلاد نكبة واكتتب الاغنياء باموال طائلة لمساعدة المنكوبين فمن عادة الحكومة ان تنعم عليهم بالالقاب العلميَّة ويحق لهم حينئذٍ ان يدخلوا المناصب ٱلَّتِي تخولهم تلك الالقاب حق دخولها فكأنهم يبتاعون مناصب الحكومة بالمال ولعلَّ ذلك قليل

ويقال بنوع عام ان مناصب الصين للعلماء لا لسواهم وهم الذين حفظوا بلادهم الى

الآن ونجَّوها من الخراب التام منذ اربعين سنة حينما ضربت الثورة فيها اطنابها . واذا اتَّسع نطاق العلم في تلك البلاد وانتشرت فيها العلوم الطبيعيَّة والآليَّة كالكيمياء والهندسة وما اشبه فلا بعد ان تصدَّ تيَّار الدول الاوربيَّة وتتغلب عليها في مستقبل الايَّام

زعماء الكهربائية

الزعيم الرابع كولون الفرنسوي

يعدُّ كولون (Coulomp) رائد علوم الامتحان في فرنسا كما يُعَدُّ غلبرت في انكلترا . وشهرتهما كليهما مبنيَّة على مكتشفاتهما الكهربائيَّة والمغنطيسيَّة . نشأ غلبرت قبل كولون وبحث في الكهربائيَّة والمغنطيسيَّة من جهة كيفيتهما اما كولون فبحث فيهما من جهة كميتهما اي انهُ قاس قوَّة الكهربائيَّة والمغنطيسيَّة واكتشف النواميس المتعلقة بذلك

ولد سنة ١٧٣٦ من عائلة شهيرة ودرس في مدينة باريس وبرع في العلوم الرياضيَّة وانتظم في الجيش مهندساً حربيًّا وأُرسل الى جزيرة مرتنيك من جزائر الهند الغربيَّة فاعتلَّت صحتهُ لفساد هوائها ولزمهُ الاعتلال بقيَّة عمرهِ ولم تجازهِ الحكومة على ما بذل في خدمتها من الجهد والعناء لان الوزارة تغيرت في ذلك الحين واتت وزارة جديدة لا يهمها امرهُ

وانشأ مقالة سنة ١٧٧٣ في بعض المسائل الرياضيَّة وعلاقتها بفن البناء فعُرف اسمهُ بها وجعلتهُ جمعية العلوم الملكيَّة عضوًا مراسلاً فيها وبعد ست سنوات نال منها جائزة هو وعالم آخر على عمل الحك البحري ونال جائزتين أُخريين سنة ١٧٨١ على رسالة في الآلات البسيطة وما فيها من المبتكرات

وعرض بعضهم على الحكومة الفرنسويَّة انشاء ترعة تمرُّ فيها السفن في ولايات بريتاني فعينهُ وزير البحريَّة لتفحصها فوجد انها كثيرة النفقات قليلة الربح . فاغتاظ منهُ المشيرون بها وعملوا على سجنهِ زاعمين انهُ صدع بأمر وزير البحريَّة ولم يستأذن وزير الحربيَّة . ثم ثبت ان الترعة كما قال عنها فاهدت اليهِ تلك الولايات هديَّة نفيسة لكنهُ رفضها ولم يأخذ منها سوى ساعة تدلُّ على الثواني ليستخدمها في تجاربهِ العلميَّة

وعُين سنة ١٧٨٤ مديرًا للمياه والينابيع في فرنسا كلها ثم انتقل الى ادارة حفظ